المغرب

عبد الكريم غلاب

التاريخ لا يعود الى وراء

يخوض الوطن العربي معركة جديدة لتحرير الانسان العربي والارض العربية من الاحتلال .

والحرب الجديدة التي شنتها اسرائيل لا تعتبر ضمن « نزاع عربي اسرائيلي » ولا ضمن « مشكلة الشرق الاوسط » كما يريد الملاحظون ـ وخاصة الاجانب منهم ـ وبعض الملاحظين العرب والمسلمين مع الاسف ، ولكنها حرب تحريرية ، فليس بين العرب واليهود نزاع وليس بين العرب والاسرائيليين ـ مهما تكن الصبغة العنصرية .. والطائفية للصهيونية التي تنتحل اسم اسرائيل ـ نزاع . بل ان العرب منذ ارتبط تاريخهم بتاريخ الاقوام والاجناس وهم يعاملون الاجناس والديانات معاملة كريمة لا يفرضون دينهم بالقوة ـ وقد كانوا اهل قوة في كثير من عصور التاريخ ولا يعتبرون لجنسهم فضلا على اي جنس اخر ، كان التفتح الفكري شيمة العقلية العربية والاسلامية ، في التاريخ وفي الماضي القريب الذي كان فيه بعض اليهود جزءا من الامة العربية يتحدثون لغتها ويعملون في اطار الوطن المشترك والدولة المشتركة والاقتصاد المشترك .

ليس هناك اذن نزاع بين العرب واليهود ولا بين العرب والاسرائيليين وانما هناك عدوان استعماري تبنته طائفة من اليهود انطلاقا من الفكر الصهيوني العنصري باسم شيء اسمه اسرائيل ، ودفعت به الى الوجود الدول الاستعمارية كجزء من تخطيط لاقامة حرب دائمة في وسط الوطن العربي من جهة ، ولتقسيم هذه البلاد حتى لا ترتبط اقاليمها الاسيوية باقاليمها الافريقية لان اسفينا دق وسط هذا الوطن يهدد الارض والمواطن فيه ويشعل الحرب بقوة السلاح الذي يأتيه من الغرب ، كلما احس هذا الغرب بان هذه البلاد العربية اتجهت لتبني نفسها وتنهض بالانسان فيها .

نزاع العرب اذن ليس مع الاسرائيليين ولا مع اليهود ولا حتى مع الصهيونيين لو ظلوا بعيدين عن الوطن العربي ولكنه نزاع مع الاستعمار والعدوان وتهديد الامن والسلام .

عصابة من هؤلاء الصهيونيين قدمت من خارج فلسطين ، فيهم البولوني والتشيكي والاميركي والانجليزي والفرنسي والسوفياتي وفرضت افكارها الاجرامية حتى على اليهود الذين كانوا يتعايشون مع العرب مسلمين ومسيحيين في فلسطين ، وكان هؤلاء ايضا عربا يدينون باليهودية كما يدين زملاؤهم في الوطن والعروبة بالاسلام او المسيحية وقامت هذه العصابة بأعمال اجرامية استهدفت طرد الشعب العربي من ارض فلسطين وتحويلها الى دولة عنصرية صهيونية تدين بالعداء لا لعرب فلسطين فحسب ، ولكن للعرب اينما سكنوا : في مصر او سوريا او العراق او لبنان او الاردن الخ .

هذا هو العنصر الاول في النزاع . وقد افضى هذا النزاع الى طرد شعب فلسطين بالفعل بوسائل اجرامية ومذابح لم يعرف التاريخ الا امثلة قليلة منها . واحتلت ارضه وغيرت معالم المقدسات الاسلامية التي تؤويها هذه الارض واحرق اعظم مسجد يقدسه المسلمون بعد الكعبة.

وبدأ الاجرام يسير في خطته لتصفية الوجود الفلسطيني .

من هنا بدأ النزاع .

ولم يكن هذا النزاع الا من اجل العدوان الذي حدث .

والعدوان لم يعرف له حدا : فقد تحول الى حروب تشنها اسرائيل بمساعدة دول اجنبية او لمصلحة دول اجنبية ضد الجيران العرب: كانت اكبرها واحفلها بالضحايا والخسائر المادية حروب٥٦ و٦٧ و ٧٣ وتخللتها اعتداءات وحروب جزئية كانت اسرائيل دائما هي التي تشنها ضد العرب لتحقيق الهدف الذي من اجله اقيمت .

ومن الطبيعي ان ينهض الشعب العربي للدفاع عن نفسه ولاسترجاع الاراضي التي اغتصبت منه ، ويكفي ان تكون اسرائيل قد توسعت حتى اصبحت في مصر على ضفة القناة وفي الاردن على ضفة الاردن الغربية وفي سوريا مشرفة على سهل دمشق من الجولان كما اصبح جنوب لبنان وعاصمته ومطاره مرتعا خصبا لاعتداءاتها ، يكفي فلسطين بكاملها والعبث بقدسها ـ لتعتبر اسرائيل استعمارا خطيرا يهدد قلب العالم العربي والاسلامي واخطر منطقة حساسة في العالم هي المنطقة التي تنتج البترول .

والوطن العربي الذي ناضل نضال البطولة والتضحية والشجاعة ضد الاستعمار الغربي لا يمكن ـ وفي نفس الجيل ـ ان يخضع لاستعمار جديد لا يختلف عن الاستعمار القديم الا انه اشد منه بطشا واخطر مذهبا : هو استعمار استيطاني عدواني ابادي حاول القضاء على شعب بكامله ، ثم اخذ يتوسع للقضاء على الشعوب المجاورة واحتلال ارضها واستغلال خيراتها (البترول في سيناء مثلا) واذلال شعوبها وفرض الحرب والدماء عليهم في كل وقت وحين .

العرب يشعرون بانهم اجتازوا مرحلة الاستعمار ، انهم طووا

هذه المرحلة مع التاريخ بنضال طويل ، وتضحيات جسيمة ، وشعور جديد بدورهم في بناء مستقبل وطنهم .

وهم على غير استعداد بالطبع ليعودوا بالتاريخ الى وراء فتحتل بلادهم ويذل المواطنون فيها ، ويصرفون كل جهودهم وطاقاتهم لصد الاعتداءات المتوالية وللاستعداد والخوف من العدوان .

رسالة العرب هي غير هذه :رسالة المستقبل للخرج بالانسان العربي من عهد التخلف وتطوير الفكر العربي ليكون في مستوى الفكر الانساني ، وتنمية موارد البلاد وخدمتها حتى تستجيب للدور الحضاري الجديد كما استجابت في الماضي للدور الذي كان من قدرها أن تقوم به عن استحقاق ووعي واقتدار وتبصر .

لقد شارك الانسان العربي في الحضارة الانسانية ابتداء من العهد الفرعوني حتى العهد الاسلامي ، وشارك الفكر العربي في تنمية الحضارة البشرية التي حفل بها حوض البحر الابيض المتوسط : حضارة الاديان والفلسفات والفنون والاداب والبناء والانتاج . ومعنى ذلك انهم على استعداد ليساهموا في الحضارة الحديثة بكل قواهم وممكناتهم في جو من السلام والتعايش السلمي مع جميع دول العالم .

ولكن حينما تسلط عليهم اسرائيل لتشغلهم بهذه الحروب المتكررة ولتستنزف قواهم بالعدوان والاحتلال فانما تريد بذلك ان توقف سير التاريخ ، وتعود به الى عهد الاستعمار الذي قضى العرب فترة طويلة من حياتهم للتخلص منه .

ومن غير الطبيعي ان يحتمل العرب اكثر مما احتملوا ،ومن غير الطبيعي ان يعود التاريخ الى وراء ليجعل منهم شعوبا مستعمرة تحتل ارضها وتذل المواطنين فيها عصابة تجمعت من مختلف اطراف الارض . الحرب الجديدة التي فرضتها اسرائيل مرة اخرى يجب ان تكون النهاية لعهد الاستعمار ، فان لم تكن فستتبعها حروب وحروب الى ان تتخلص بلاد العرب من الاحتلال والاستعمار ولن تكون هذه الحروب صورة للنزاع بين العرب واسرائيل ، ولا بين العرب واليهود ، ولكنها صورة للنزاع بين العرب والاستعمار .

ذلك حقهم . بل هو واجبهم اذا ارادوا ان يكون لهم وجود كريم على وجه الارض ، وليس لاحد ان يمنع عنهم هذا الوجود الكريم .

العلم
١٠ تشرين الاول

منطق العقل والفكر في المعركة

لا احب ان يطغى الجانب العاطفي على الجانب الفكري في المعركة المصيرية التي تخوضها الشعوب العربية ضد اسرائيل ، ومعنى ذلك ان الفرحة بالنصر او الالم للهزيمة لا ينبغي ان يكون كل المردود الذي تتركه المعركة في نفوسنا. اننا نفرح تلقائيا حينما ينتصر المجاهدون من جنودنا وضباطنا والتقنيون والفنيون الذين يديرون المعركة،لان الانتصار في معركة يقرب الى نفوسنا النصر النهائي على العدو . ونحن نحزن تلقائيا حينما تغير طائرات العدو ـ مثلا ـ على المدن والديار الاهلة بالسكان وعلى المراكز الاقتصادية لان في ذلك صورة من انتصار يحققه العدو ، اي هزيمة لقواتنا التي تركت الطائرات المعتدية تصل الى اهدافها .

الفرحة التلقائية والحزن التلقائي لا يحلان المشكلة ، ولا يقربان الينا نصرا ولا يبعدان عنا هزيمة ، ولذلك يجب ان يطغى الجانب الفكري على الجانب العاطفي في المعركة التي تخوضها الامة العربية ضد العدوان الصهيوني .

والجانب الفكري يتطلب ان نعتبرها معركة مريرة طويلة الامد عميقة الخسائر لن تقف عند حدود الايام او الشهور او السنوات، ولو توقفت الى حين .

ذلك لانها معركة من اجل الوجود والكيان والعقيدة ، ولانها معركة لا تخوضها القوات الاسرائيلية ، ولكن تخوضها قوة اعتى من اسرائيل تعني بوضوح : ابادة شعب له ارض لاحلال شعب لا ارض له لا ينفد راده لا تدفع فيه اسرائيل ثمنا ، وربما لا تحتاج فيه الى تكوين الخبراء لاستعماله .

هي معركة من اجل الوجود لان الفكرة الصهيونية التي تقوم عليها اسرائيل تعني بوضوح : ابادة شعب له ارض لاحلال شعب لا ارض له محله . وتعني بوضوح : خلق مجال حيوي للتوسع لاقامة مملكة اسرائيل بين الفرات والنيل .

ومركز هذا الوجود والتوسع هو قلب العالم العربي والاسلامي : فلسطين ، التي اصبحت منذ ازيد من ربع قرن تسمى اسرائيل، مصر وسوريا والعراق وحولها يتبلور هذا العالم ومنها جميعا يستمد قوته واستمراره .

اذا استهدفت هذه المراكز للاحتلال الاسرائيلي استهدف الكيان والعقيدة . كيان العرب والمسلمين لا يمكن ان يبقى اذا فقدوا الارض ، وقد فقدوا بالفعل جزءا مهما منها منذ ربع قرن ، وفقدوا جزءا اخر مهما منها منذ ازيد من ست سنوات . والوقوف سلبيا ازاء اسرائيل يطمعها ، ويطمع حماتها في استمرار استلاب الارض ـ اعني الكيان العربي الى ان تحقق اسرائيل مملكة داود الوهمية . وبذلك نفقد الكيان الذي عليه نبني وجودنا .
وذلك هو النصر لاسرائيل والهزيمة للعرب .

والاستعمار الصهيوني ـ كالاستعمار الاوروبي والاميركي الذي جربناه ـ ليس من البلاهة بحيث يعتقد انه سيبيد الانسان العربي جميعه جسديا . بمعنى ان مملكة داود ـ ما بين النيل والفرات ـ لن يسكنها الا اليهود ، والعرب المسلمون والمسيحيون ستطويهم الارض . ولكنه يعتقد انه سيفقد العرب الذين يحتملون البقاء تحت ظل النجمة السداسية ما به يكونون عربا وهو العقيدة .

بعض الاستعماريين في الماضي ـ وفي الحاضر كذلك ـ كانوا يحاولون استلاب الشعوب المستعمرة عن طريق تغيير العقيدة الدينية مثلا ، فيفكرون في تمسيح المسلمين او غير المسلمين كما حاولت ـ ونفذت ـ البعثات التبشيرية في المغرب العربي وافريقيا ، وكانت دائما في خدمة الاستعمار .

تلك نظرية لا نعتقد ان اسرائيل ستطبقها لسلب العرب عقيدتهم ، لان اسرائيل اليهودية مقفلة بمقدار ما هي عنصرية . فهم ـ من حسن الحظ ـ لا يبشرون باليهودية وما نظنهم سيحاولون تهويد الشعب العربي اذا تمكنوا منه . وما نعتقد انهم ينجحون اذا هم حاولوا كما لم ينجح اخوة لهم من قبل . ولكنهم سيحاولون اذابته بحيث يصبح شعبا بدون عقيدة ولو ظل يعتبر نفسه مسلما ، وسيزيحون عنه قوميته بحيث يصبح مع الزمن اسرائيليا لا عربيا،

حسن الطريبق

في مباركة الزخف

واكب النصر وثبة الابطال
فانتشى العزم في نفوس غوال
وانطوى الليل بعدما افتر في الاروا
يتعالى صوت العروبة في « سيناء »
يزأر الثأر في اشتياق الى المجد
يرتمي في مدى الكرامة كالبحر
يحمل المجد غضبة ليس في ك
أين يمضي بها الهيام وقد أوغ
بين سفي من الصاص يدوي
يكتب العرب بالشهامة مجدا
ركزوا في المدى البعيد رجاء
ويضيء الذي تجاوز ما في الظ
وحدة اومضت تؤازر أصرار
يتوالى زحف العروبة في الجو
ألفت مجدها ودب بها الشوق
عرفت نهجها وسارت على الدرب
في مدار النضال يخضر ليل
ويعود الشباب من بعد جدب

في هضاب «الجولان» او في«القنال»
ظامئات الى إبتداء القتال
ح فخر يشع بالامال
عذب النداء يوم النزال
ويهفو الى طلاب الكمال
عتي الامواج والاهوال
ل مداها سوى دماء الرجال
ل فيها السؤال بعد السؤال ؟
في الصحاري وبين سفي الرمال
سامق الصرح في سماء المعالي
يتخطى كل الذي في الخيال
ن من خاطر لنا واحتمال
يمين بشعبنا وشمال !
وفي البحر والربى والجبال
وأحيا بها شعور النضال
تخط الخلود للاجيال
ران في ستة من الاحوال !
يانع الحب سرمدي الجمال

العلم
١٢ تشرين الاول

وسيغيرون معالم كيانه الثقافي ، والثقافة احدى مقومات القومية.

معنى هذا ان الوجود الاسرائيلي يستهدف ابادة الوجود العربي داخليا . فهو ليس من نوع الاستعمار الغربي الذي كان يستغل او يستوطن فحسب ، ولكنه استعمار من نوع اخر يستهدف الابادة من الداخل بالاضافة الى احتلال الارض حتى يصبح الانسان العربي المستعبد متحللا من كل القيم التي تجعل منه شعبا ذا ارض وقومية ولغة ودين .

من هنا كانت الحرب التي تخوضها جيوشنا ذات اهداف وابعاد ليس من السهل تحقيقها بالسرعة الكافية ، ومن الخطأ الاندفاع عاطفيا عند اول انتصار ، او الاعتقاد باننا سنطوي اسرائيل بحرب واحدة . ذلك لان اسرائيل تلتقي في اهدافها مع كثير من الدول التي تريد استنزاف الوطن العربي واذلاله عن طريق اسرائيل ، وعن طريق الحرب التي تفرض عليه من حين لاخر فيظل دائما في الحرب العملية او في الاستعداد للحرب . وبذلك يحققون ـ بواسطة اسرائيل عدة اهداف ـ كبت الوطن العربي حتى لا يصبح وحدة وبالتالي قوة تتحكم في منطقة استراتيجية مهمة ، وتحتل جزءا كبيرا من المحيط الى الخليج .

ـ استنزاف الثروة العربية عن طريقين : طريق وضع البترول دائما في خدمة الامبريالية والاستعمار سواء بالتزويد او بكنز الاموال في بنوك الدول الاستعمارية ، وطريق صرف اموال البترول في التأهب للحرب وشراء السلاح من الدول التي توجد في بنوكها اموال البترول .

ـ صرف العرب عن كل عمل بناء حتى تبقى بلادهم في عداد الدول المتخلفة ثقافيا واقتصاديا . وبذلك يبقى الشعب العربي ـ ولو نجا جزء منه من الاحتلال الاسرائيلي ـ تحت رحمة التخلف وذلك يعني انه تحت رحمة الاستعمار .

هذه هي المشاكل التي نواجهها في حربنا مع اسرائيل . وهي تتطلب العمل الفكري اكثر من الاندفاع العاطفي . واذا كانت دولتنا المواجهة قد اتسمتا في هذه الحرب بأعمال الفكر وضبط الاعصاب والاستعداد الطيب والاستفادة من اخطاء الماضي والاعتماد على التقنية الحديثة وتقوية الروح المعنوية في الضباط والجنود وحشد الطاقة العربية عمليا بمساهمة الدول العربية من المحيط الى الخليج في المعركة ، فاننا لنعتبر ان هذه بداية طيبة لمواجهة المعركة بالفكر لا بالعاطفة .

وعلى الشعوب العربية ان تكون في هذا المستوى فتقدم التضحية حينما يتطلب منها الموقف وتستعد للمعركة الطويلة التي تفرضها ظروف الاستعمار التي اوجدت اسرائيل وتحمي اسرائيل ، وتستعد للهزيمة كما تستعد للنصر ، وتكون في عون المجاهدين في الصفوف الامامية بروحها المعنوية حتى لا تخذلهم .

هذا هو منطق العقل والفكر .

وهو المنطق الذي يجب ان يسود ظروف الحرب التي يخوضها الوطن العربي من اجل ارضه وكيانه وعقيدته .

العلم
١٧ تشرين الاول